

## ميناء حيفا وميناء بيروت... بين الهزل والجد



بيروت صامدة رغم الوجع

ظلّ اليأس العربي من لبنان... الساقط عسكريا وسياسيا في يد إيران. نعم بيروت تموت وهناك من يفرح بموتها كونه بريدها ضاحية فقيرة من ضواحي طهران!

لم يأخذ ميناء حيفا مكان ميناء بيروت. هناك لبنانيون تخلوا عن بيروت وطعنوها في الظهر والصدر في أن... بل نحوها من الوريد إلى الوريد، يحركهم الحقد على ثقافة الحياة لا أكثر.

لا يستطيع المرء إلا أن يكون متشاظما، لا لشيء سوى لأن كثيرين في أعلى المواقع في السلطة لا يعرفون شيئا عن قيمة بيروت وأهميتها. من بين أكثر ما يدل على ذلك أن ما يسمى "التيار العوني" لم يتردد في الاعتصام أشهرًا طويلة في وسط العاصمة في العام 2007 موقرا الغطاء المطلوب لـ "حزب الله" كي يتابع تدمير لبيروت. لم يسأل وقتذاك ميشال عون وجبران باسيل، اللذان لا يعرفان بيروت، كم عدد المسيحيين وغير المسيحيين الذين تسبب هذا الاعتصام في تهجيرهم من لبنان؟ كم عدد المؤسسات التي تسبب ذلك الاعتصام بإغلاقها؟

لعل ما يزيد التشاؤم أن بيروت تبدو في السنة 2020 مدينة يتخيمها في

صنعا في 21 أيلول - سبتمبر 2014. تفاخر المسؤولون الإيرانيون الذين تحدثوا عن الانتصار الذي حققته إحدى أدوات "الجمهورية الإسلامية" في اليمن عن السيطرة على أربع عواصم عربية هي صنعاء وبغداد ودمشق وبيروت.

في انتظار معرفة حقيقة ما جرى يوم الرابع من آب 2020، لا يمكن الهرب من أن مصير بيروت مطروح جدليا. لم يعرف اللبنانيون الدفاع عن عاصمتهم ولا حمايتها. قد يدركون قيمة بيروت في يوم من الأيام، بيروت التي جاءت لهم بالثروة والعيش الرغيد والمستشفى والجامعة والمسرح والرسم والفن، عموما، وعلمتهم معنى التعلق بثقافة الحياة.

والإسكندرية... وعن بيروت. مع مرور الوقت بقيت بيروت وحدها كمدينة ذات دور يتجاوز النشاط التجاري. كانت هناك محاولة لقتلها والقضاء عليها بين 1975 و1990، لكنها استعادت حيويتها وعادت رمزا لثقافة الحياة مع بدء إعادة بناء وسطها. لا يمكن عزل اغتيال رفيق الحريري عن فكرة القضاء على ثقافة الحياة في بيروت، كمدينة عربية ومتوسطة وعالمية في الوقت ذاته... ومركز مالي في المنطقة.

من لم يفهم لماذا كان كل هذا الحقد لدى النظام السوري على بيروت، لا يستطيع فهم حجم الحقد الإيراني الذي كشفته تصريحات صدرت عن غير مسؤول في طهران بعد وضع الحوثيين (انصار الله) يدهم على

مجال طرح أسئلة ساذجة من نوع إعداد ميناء حيفا، الإسرائيلي حاليا، نفسه للعب دور على صعيد التبادل التجاري في المنطقة والحلول مكان ميناء بيروت الذي تعرّض لتفجير رهيب في الرابع من آب - أغسطس الماضي، أي منذ نحو ثلاثة أشهر أو أقل بقليل من ذلك.

ما الذي يمكن توقعه من بلد، لا يتحرك فيه رئيس الجمهورية قبل أسبوعين من إبلاغه رسميا، عبر أحد الأجهزة الأمنية عن تخزين مواد شديدة الخطورة في أحد العنابر داخل الميناء؟ هل ميناء حيفا مسؤول عن ذلك؟ بعض الجذبة يبدو ضروريا بين حين وآخر. تبدأ الجذبة بالاعتراف بأن ميناء بيروت استفاد إلى أبعد حدود في العام 1948 من قيام دولة إسرائيل وإلغاء الدور الذي كان يلعبه ميناء حيفا إقليميا. الجذبة تعني أيضا، تحمل كل لبناني مسؤولياته. من رأس الهرم في السلطة، إلى أصغر موظف في ميناء بيروت، مرورًا بالطبع بالأجهزة الأمنية المختصة الموجودة في الميناء، لا يوجد في لبنان على الرغم من مرور كل هذا الوقت من يسال من وراء الإهمال الذي راح ضحيته ميناء بيروت... أو من وراء ما حصل يوم الرابع من آب 2020؛ في النهاية، لا يمكن عزل الكارثة عن كل ما يتعرّض له لبنان منذ سنوات عدة وصولا إلى ذهابه إلى التفاوض مع إسرائيل في شأن ترسيم الحدود البحرية من موقع البلد المخلص.

لا يمكن عزل تفجير ميناء بيروت عن القضاء على دور بيروت وعلى المدينة نفسها وتركيبها السكانية وتنوعها. من المناسب في هذا المجال العودة إلى كتاب فيليب مانسيل وعنوانه "المشرق" (LEVANT) عن ثلاث مدن ساحلية مشرقية كانت لها أهمية استثنائية وطابعها المتميز على شاطئ البحر المتوسط. لم تكن هذه المدن مراكز تجارية فحسب. كانت مراكز ثقافية وفنية ومالية وذات إشعاع حضاري أيضا. الأهم من ذلك كله كانت مدنا ذات تنوع سكاني وديني يقيم فيها مسلمون ومسيحيون ويهود وأناس من جنسيات مختلفة. كانت مدنا مفتوحة على العالم واللغات الحيّة.

تحدثت مانسيل عن سميرنا في تركيا (اسمها حاليا إزمير)

خير الله خير الله  
إعلامي لبناني

بلغ الوضع اللبناني درجة من السوء لم يعد فيها المرء قادرا على التفريق بين الهزل والجد في قضايا بالغة الأهمية. هناك جانب هزلي وآخر في غاية الجذبة للكلام عن أخذ ميناء حيفا لدور ميناء بيروت. يتمثل الجانب الهزلي، أو على الأصح الفولكلوري، في الكلام عن وجود مؤامرة دولية على لبنان. تستهدف المؤامرة المزومة، من بين ما تستهدفه إلغاء دور ميناء بيروت على البحر المتوسط بصفة كونه الميناء الذي كانت تفرغ فيه بضائع وجهتها النهائية دول عربية معينة من بينها العراق وسوريا والأردن ودول الخليج العربي.

في الكلام الجذبي، نعم، يمكن لميناء حيفا لعب دور في المستقبل في مجال إلغاء جزء من الدور الذي يلعبه ميناء بيروت. هل هذا نتيجة مؤامرة على لبنان أم نتيجة مؤامرة من اللبنانيين على بلدهم وعلى دوره في المنطقة، خصوصا بعدما حوّل "حزب الله" بيروت إلى مدينة إيرانية على البحر المتوسط؟

يمكن لميناء حيفا لعب دور في المستقبل في مجال إلغاء جزء من الدور الذي يلعبه ميناء بيروت. هل هذا نتيجة مؤامرة على لبنان أم نتيجة مؤامرة اللبنانيين على بلدهم وعلى دوره في المنطقة؟

هذا هو السؤال الذي يُفترض في اللبنانيين طرحه على أنفسهم بدل الهرب من الحقيقة والواقع وتفادي الاعتراف بأن اللبنانيين نامروا على ميناء بيروت ودوره وعلى دور بلدهم في المنطقة. عندما يتصالح اللبنانيون مع مصلحة لبنان أولا، لا يعود من

## تعقيبات على رحيل عزة الدوري

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدرّاء التحرير  
مختار الدبابيكرم نعمة  
حذام خريف

منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسمالمدير الفني  
سعيدة يعقوبيتصدر عن  
Al-Arab Publishing Houseالمكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UKTel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778للإعلان  
Advertising DepartmentTel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.ukwww.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

الشيعية الموالية لإيران، ثم بقبوله بوجود هامشي على طاولة مجلس الحكم الذي شكله الحاكم المدني الأميركي بول بربرم 2003، وأخيرا انضمامه إلى جماعة مقتدى الصدر فيما سمي بـ"سائرُونَ".

والسؤال المطروح الآن هو ماذا يخفي المستقبل المنظور والغد البعيد للحزب العراقي الكبير الأول، حزب البعث العربي الاشتراكي، بعد رحيل قائده الأول، ثم قائده الثاني؟ وماذا عن الحزب الكبير الثاني، الحزب الشيوعي العراقي، بعد أن تحول إلى حزب صغير ملحق بالعملية السياسية الفاشلة التي ثار على فسادها الشعب العراقي، وتحمل خسارة دماء سبعمئة شهيد والآلاف المعتقلين والمعوقين؟

الحاكمة، حزب الدعوة، فمسيره مرقوم بسقوط النظام الإيراني، أو بجلوسه مع الأميركيين على طاولة مفاوضات، وبالشرط الأميركي القاتلة. وما حل بحزب جلال الطالباني، وبحزب الملا مصطفى البارزاني من تشققات وتصدعات، وما بين أربيل والسليمانية من تناحرات لا يخفى على أحد.

وهذا ما يفسر ضالة أعداد أعضاء الأحزاب والمنظمات السياسية، بما فيها الحزب الشيوعي وحزب البعث، وضعف نفوذها.

فحسب الواقع الإحصائي الانتخابي الأخير كان مجموع المنتسبين إلى الأحزاب والتيارات والجماعات السياسية الحالية أقل من خمسة في المئة من مجموع سكان العراق. وهذا يعني أن عدد المنضوين تحت أجنحة الأحزاب، مجتمعة، لا يتعدى مليونًا ونصف المليون إلا بقليل، ويقتني تسعة وعشرون مليونًا من المواطنين لا يتقنون بهذه الأحزاب ولا يحترمونها، والعياد بالله.

خصوصا في أعقاب جلاء قوات الاحتلال الأميركي من البلاد، وبداية الاحتلال الإيراني الذي فعل بالحزب أكثر مما فعله به الأميركيون بكثير. أما سبب انكماش الحزب الشيوعي فيمكن في القيادة الجديدة التي بدأت عملها في أوائل التسعينات.

والذين عاشوا ما بلغه الحزب الشيوعي العراقي من تخمة في المنتسبين إليه، من منتصف الخمسينات، ثم في الستينات، عجبوا من سرعة فقدانه الآلاف من أعضائه وانصاره الكثيرين.

فهذا الحزب، وهو المصنف بأنه حزب المؤتمرات الحزبية العامة والانتخاب الحر لاختيار سكرتير لجنته المركزية وأعضائها، كان، هو الآخر، ضحية انفراد القيادة باتخاذ قرارات لا تحترم إرادة قواعدها، ولا تستمع إليها.

وقد بدأت رحلة التدهور والتراجع والانكماش يوم أن دخلت القيادة الجديدة للحزب الشيوعي العراقي في جبهة واحدة مع نظام صدام حسين. 1973، بعد أن كانت تتبنى الحكم عليه بالعمالة والديكتاتورية.

ثم خسر الحزب كثيرا من أعضائه ومن رصيده الشعبي بدخوله خيمة المؤتمر الوطني الموحد 1992، الممول أميركيا، والمسير إرانيا وسوريا، وبتحالفه مع الأحزاب

المنتظر تجسدت أزمة القيادة فيه بكل وضوح.

فالشخص الذي كان يوصف بأنه ظله وساعده الأمين، والذي ورث القيادة من بعده، لم يستطع أن يلملم أجنحة الحزب المتناطحة، ولا أن يوحد شتاته ويعيد إطلاقه من جديد،

وحيث ندق في مصير الحزبين الكبيرين، الشيوعي العراقي وحزب البعث، ونبحث في أسباب انكماشهما، وانخفاض أغلب أعضائهما عنهما نجد أن فريدة صدام حسين في الهيمنة على القيادة والقاعدة، معا، في حزب البعث، وانفراد القيادة الشيوعي بعقد التحالفات وقبول المساومات، هما السبب الوحيد.

فبالرغم من أن حزب البعث ولد في أواخر الأربعينات من القرن الماضي، ونما وكبر وانتشر بسرعة غير اعتيادية، وتحول، بجدارة، إلى أحد أهم الأحزاب العراقية التي صنعت تاريخ العراق الحديث، بسببها تاريخ وإيجابياتها، إلا أنه خسر ديمقراطية لقرانه، بكل درجاتها الحزبية، كلمة الفصل العليا الفاعلة النهائية في رسم خط سيره وصياغة شخصيته وصنع قراراته، وبالتحديد في أعقاب محاولة اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم 1959 و"إقالة" الأمين العام، فؤاد الركابي،

وتعيين بديل له دون الرجوع إلى قواعد الحزب، وبالافتراء الحر، ثم في أحداث ما سمي بـ"ردة تشرين" 1963 التي أسست لمسلسل التمرق والشرذمة والاحتراب.

وحتى حين تمكن الراحل أحمد حسن البكر، وبارادة القائد المؤسس ميشيل عفلق ودعمه، من إعادة بناؤه، فقد احتكر قيادته بالمناصفة مع نائبه صدام حسين، لينفرد بها النائب في العام 1979 وينتزع القيادة ويديج القاعدة، ويظل قائده الأوحد حتى يوم رحيله المعروف. وغبيا به غير المتوقع وغير

وحيث ندق في مصير الحزبين الكبيرين، الشيوعي العراقي وحزب البعث، ونبحث في أسباب انكماشهما، وانخفاض أغلب أعضائهما عنهما نجد أن فريدة صدام حسين في الهيمنة على القيادة والقاعدة، معا، في حزب البعث، وانفراد القيادة الشيوعي بعقد التحالفات وقبول المساومات، هما السبب الوحيد.

فبالرغم من أن حزب البعث ولد في أواخر الأربعينات من القرن الماضي، ونما وكبر وانتشر بسرعة غير اعتيادية، وتحول، بجدارة، إلى أحد أهم الأحزاب العراقية التي صنعت تاريخ العراق الحديث، بسببها تاريخ وإيجابياتها، إلا أنه خسر ديمقراطية لقرانه، بكل درجاتها الحزبية، كلمة الفصل العليا الفاعلة النهائية في رسم خط سيره وصياغة شخصيته وصنع قراراته، وبالتحديد في أعقاب محاولة اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم 1959 و"إقالة" الأمين العام، فؤاد الركابي،

وتعيين بديل له دون الرجوع إلى قواعد الحزب، وبالافتراء الحر، ثم في أحداث ما سمي بـ"ردة تشرين" 1963 التي أسست لمسلسل التمرق والشرذمة والاحتراب.

وحتى حين تمكن الراحل أحمد حسن البكر، وبارادة القائد المؤسس ميشيل عفلق ودعمه، من إعادة بناؤه، فقد احتكر قيادته بالمناصفة مع نائبه صدام حسين، لينفرد بها النائب في العام 1979 وينتزع القيادة ويديج القاعدة، ويظل قائده الأوحد حتى يوم رحيله المعروف. وغبيا به غير المتوقع وغير

إبراهيم الزبيدي  
كاتب عراقي

تجر وفاة القائد الثاني لحزب البعث العربي الاشتراكي، فرخ العراق، عزة الدوري، إلى الحديث عن مصير الحزب من بعده، ثم عن ظاهرة خلو العراق من الأحزاب الجماهيرية الكبيرة التي تتنافس من تحت، من القاعدة، ثم تصعد إلى أعلى، إلى سدة القيادة، لتدوم، وتكبر، وتوسد.

فأي واحد من الأحزاب العراقية، ما عدا الحزب الشيوعي العراقي وحزب البعث العربي الاشتراكي، مؤسس ومملوك من شخص واحد يظل أسيرا له، ثم يتشقق بعد غيابه، ثم يتلاشى، حتى لو بلغ أعضاؤه عشرات الآلاف، أو حتى مئاتها، وذلك لأن قائده الأوحد لا يربي من حوله قادة وزعماء يصلحون لحمل الراية بعد غيابه، بقدر ما يهيمه ويسعده وجود مصدقين ومحصلي ضرائب وحراس وخدم ووبابيين.

وليس خافيا مصير حزب الاستقلال القومي العربي، وحزب كامل الجادرجي الوطني الديمقراطي، والتشققات التي شهدتها جماعة الإخوان المسلمين وحزب الدعوة وحزب ملا مصطفى البارزاني وحزب جلال الطالباني والمجلس الأعلى وباقى الأحزاب والحركات الأخرى، كجماعة إباد علاوي وأسامة النجيفي وخميس الخنجر وصالح المطلق، وقد ساهم الاحتلال الأميركي، ثم الاحتلال الإيراني، وانهيار الدولة العراقية، وقيام دولة المحاصصة، في شردمة الأحزاب العراقية، قاطبة، وتحويلها إلى دكاكين سياسية هدفها السلطة والمال والوجاهة.

كما أن دخول المال السياسي الوارد من خارج الحدود جرد تلك الأحزاب من صدقيتها في نظر المواطن العراقي، وعزلها عن قواعدها، وحرمانها من احترام الجماهير.